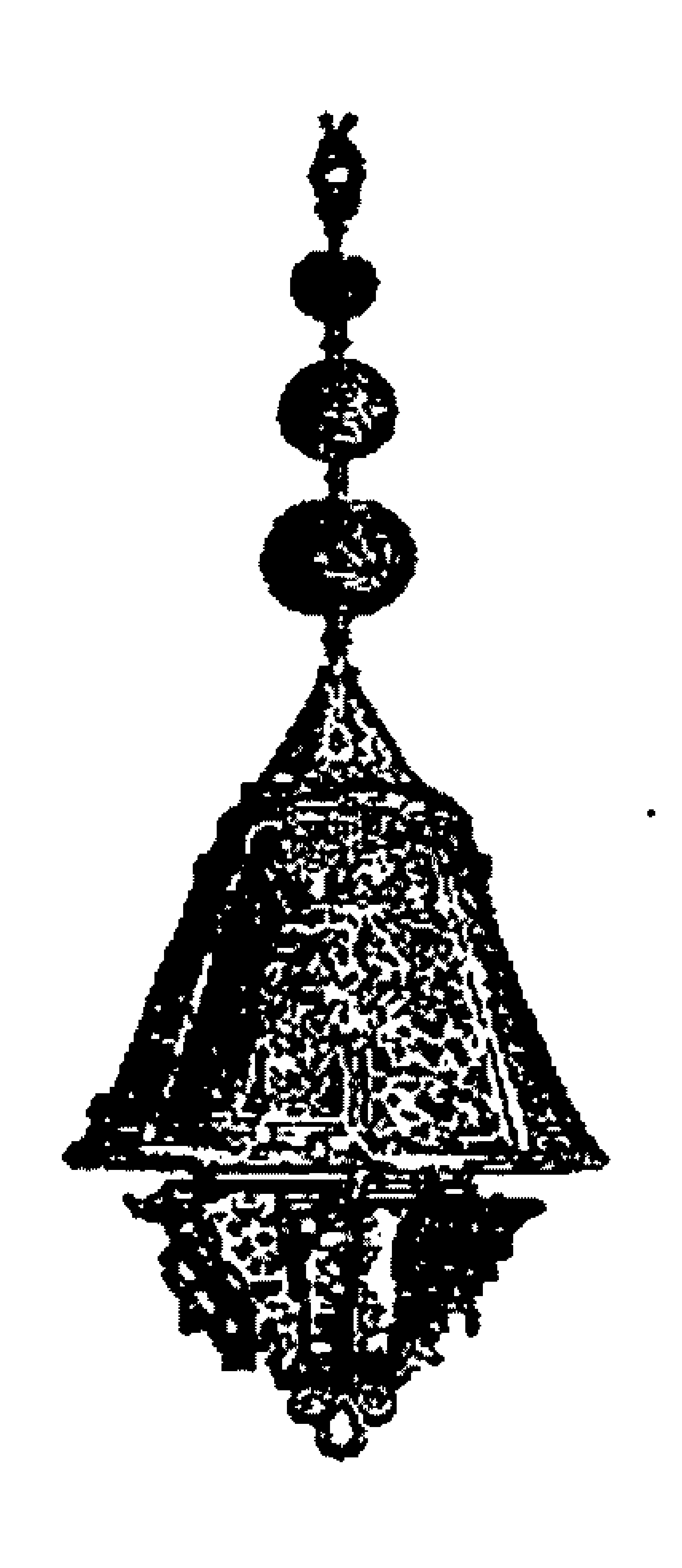
جمهورية مصر العربية – وزارة التعليم العالي – الإدارة العامة للنشاط الثقافي والعلمي

مجلة المعهد المصري

للدراسات الإسلامية في مدريد



المجلد العشرون

٢٠

مدريد ١٩٧٩ – ١٩٨٠

فهرس القسم العربي

تصدير للدكتور السيد عبد العزيز سالم مدير المعهد

البحوث والنصوص

الزهريات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة للدكتور محمود علي مكي . ٥
اكتشاف نص جديد من كتاب البيان المغرب للأستاذ عبد القادر زمامة . . . ٢٧
أربع رسائل دبلوماسية للأستاذ محمد عبد الله عنان ١٠٣
صناعة السيف الإسلامي للدكتور عبد الرحمن زكي ١١٣

الكتب والأبحاث الجديدة

نقد الكتب والأبحاث الجديدة الدكتور محمد عبد الحميد عيسى ١٤٣

اكتشاف نص جديد من كتاب

البيان المغرب فى اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب

يتعلق بتاريخ الموحدين

زارنى بمنزلى بفاس صديق كريم وبشرنى مسروراً بحصوله على مخطوطة قديمة لكتاب « الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس » ، وقرن هذه البشرى بتقديم المخطوطة إلىَّ لأقول رأيي فيها ولأقارن بينها وبين نسخ هذا الكتاب المخطوط منها والمطبوع ، وشكرتُ للصديق هذه البشرى . وبدأت أجيل النظر بين صفحات المخطوطة ، فلم أتردد فى إخبار الصديق أن المخطوطة التى اشتراها على أنها نسخة من كتاب « الأنيس المطرب » ليست إلا نسخة من كتاب « البيان المغرب فى اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب » ، لابن عذارى وتشمل الجزء المطبوع بمدينة تطوان سنة ١٩٦٠ م. الذى نشره المستشرق الاسبانى أمبروسي هويسى مراندة ، مع مساهمة الأستاذين محمد بن تاويت ، ومحمد ابراهيم الكتانى . والمخطوطة مبتورة الأول والآخر ، ينقصها ثلاث أوراق من البداية وثلاث أخرى من النهاية . وهى مكتوبة بثلاثة أقلام وخطوط متفاوتة فى الجودة والرداءة ، والخطأ والصواب ، وتشتمل على نفس البياضات الموجودة فى النسخة المطبوعة بتطوان منذ ما يقرب من تسع عشرة سنة . وعدد أوراقها ٢٢٩ ورقة أى ٤٥٨ صفحة فى حجم ٢٤ سم × ١٧ سم . وعدد سطور كل صفحة عشرون سطرا . ولما كانت مبتورة الأول والآخر فهى خالية من اسم الناسخ وتاريخ

النسخ ومكانه ، إلا أننا نعتقد استدلالا من نوعية الورق أنها كتبت خلال القرن الحادى عشر الهجرى السابع عشر الميلادى .

بعد هذه النظرة الأولى فى أوراق المخطوطة ، تفرغت لمقارنتها بالنسخة المطبوعة فى تطوان المشتملة على تاريخ الموحدين وأعمالهم فى كل من الأندلس والمغرب . فوجدت بها زيادة مفيدة عظيمة الأهمية . ومصدر هذه الأهمية من مما يلى :

١ — انها زيادة تشتمل على ما يقرب من ٢٦ صفحة متصلة تجاوزها أو غفل عنها ناسخ المخطوطة التى طبعت عليها طبعة تطوان من الجزء الخاص بالموحدين .

٢ — انها تشتمل على معلومات مدققة عن الأيام الأولى لعمل الموحدين فى عواصم الأندلس وأقاليمها ولا سيما « الغرب » و « الوسط » مع الحكام المتغلبين أمثال « ابن قسى » و « البطروجي » وغيرهما ، ومع قواد المرابطين الذين حملوا لواء المقاومة هناك ، ثم بايع بعضهم الموحدين .

٣ — انها تفسّر لنا بعض الأعمال والمواقف التى اتخذها عبد المؤمن فى المغرب إزاء شخصيات موحدية ومرابطية وبعض الشخصيات الأندلسية التى وفدت على المغرب .

ونجد فى هذه الزيادة بعض البياضات ، ولكنها لا تضر ، حيث انها لا تشمل جوهر المعلومات ، وانما تقع فى الغالب فى تفصيلات وشروح وربط الجمل بعضها ببعض شأنها فى ذلك شأن البياضات الموجودة فى الجزء بأكمله : المخطوط والمطبوع .

ولأهمية هذه الزيادة فيما يتعلق بتاريخ الأندلس والمغرب أردنا نشرها هنا على صفحات مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية لكونها مجلة متخصصة

تلتقي فيها أقلام الباحثين في تاريخ المغرب والأندلس من شرقيين ومستشرقين ، لا سيما وان كتاب « البيان المغرب » لابن عذاري يحتل مكانة مرموقة في مصادر هذه المادة التاريخية . ومنذ حقبة طويلة من الزمن كانت الأضواء مسلطة على نسخه المخطوطة لاكتشاف أقسامها في خزائن الشرق والغرب وما زال جمع شتات هذه الأقسام وتحقيقها وطبعها طبعاً علمياً . ديناً في عنق الباحثين المهتمين بتاريخ المغرب والأندلس .

ويقتصر عملنا في هذه « الزيادة » المكتشفة من « البيان المغرب » على جمع ونسخ مادتها من هذه السطور الملتوية لتكون طبق الأصل ، مع الاستعانة بالنسخ الخطية الثمينة التي تحتفظ بها الخزانة الملكية بالرباط لهذا الجزء من كتاب ابن عذاري ، لا سيا المخطوطة رقم ٧٧٧ والمخطوطة رقم ١١٥٨ ، فقد استعنا بهما لقراءة النصوص والتثبت من بعض الأعلام . ومع بذل المجهود في هذا الميدان فاننا نعتقد أن هنالك ثغرات تنتظر مزيداً من التصحيح والتحقيق وأبياتا مكسورة تنتظر الإصلاح والتقويم عندما يُراد طبع نصوص الكتاب طبعة علمية تعتمد على مخطوطات هذا الجزء من كتاب ابن عذاري . . .

ولهذا وغيره من الأسباب لم نعلق على نصوص هذه « الزيادة » واكتفينا بتقديمها للباحثين لتكون حافزا ومشجعا لمن يريد الاشتغال بدراسة وتحقيق هذا الجزء من « البيان المغرب » .

بقي أن نشير في النهاية إلى أن هذه « الزيادة » ينبغي إضافتها إلى نصوص الجزء المطبوع بتطوان هكذا بداية ونهاية : ففي الصفحة ٢٧ وفي السطر الأخير منها نطالع ما يلي :

« وفي أثناء هذه الفتن قام من أهل سبتة قوم على مَنْ . . . »

وتكمله الزيادة هكذا :

« . . . بالقصبة حتى غلبوهم وأوقدوا النار عليهم بالبرج . . . »

وتستمر الزيادة إلى نهايتها لتلتقى مع المطبوع فى نفس السطر عند قوله :

«. . . فى قلوب عبد العزيز وعيسى وأصحابهما . . .»

وفيما يلى صورة فتوغرافية من هذه المخطوطة التى قدمها إلىّ الصديق مشكوراً على أنها من كتاب «الأنيس المطرب» وما هى فى الحقيقة إلا جزء من البيان المغرب لابن عذاري .

النص

. . . من بالقصبة حتى غلبوهم ، وأوقدوا النار عليهم بالبرج الذى تحصنوا فيه حتى قتلوهم وصلبوهم ، وجاز البحر عياض القاضى إلى يحيى بن علي ابن غانية وهو بالخضراء . وطلب منه واليا ، فأرسل معه يحيى بن أبى بكر الصحراوي ، فأجازه البحر إلى سبتة ، فاستولى عليها وخلعوا طاعة عبد المؤمن . وقام أهل المدينة على الموحدين فيها وقتلوا الحافظ بها يوسف بن مخلوف ، وكان قد غزا مع القاضى عياض الروم فى البحر . ولما فتح الموحدون مدينة فاس واستقروا بها فر يحيي الصحراوي صاحبها واستقر بطنجة ، ثم جاز البحر إلى الأندلس برغبته إلى قائد البحر على بن عيسى بجزيرة قادس ، فأجازه القائد المذكور وأجاز أصحابه اللمتونيين والروم الذين كانوا معه إلى جزيرة قادس ، فاشترط القائد على يحيي هذا أنه إذا وصل قرطبة إلى ابن غانية أن يشفع فى عيسى والده ويخرج من سجنه بقرمونة ويسرحه إليه ، فضمن له ابن الصحراوي ذلك . فلما أجازه علي عزم على أن يأخذ خيلهم وما بقى عندهم من مال ورجال . وقد كان أعطاه مالا كثيراً ، ففهم يحيي عن ذلك ، ففر إلى ابن غانية بقرطبة فاستقر عنده ، وأطلق والد على المذكور ، ووفى له . ثم أن ابن الصحراوى لما حصل بسبتة تحيل على القائد علي بن عيسى المذكور واستدعاه إليها وخدعه وقتله ، ثم إن ابن الصحراوى أيضاً كثرت فتنته ، ودام تخليطه ، ورام أن يجمع ما مضى من أيام آبائه ، فلم تعنه الأيام . . . . . أخذا فى العفو عنه بعد وصوله إلى برغواطة حسبما أذكره .

ذكر الوفد الناهض من اشبيلية الى عبد المؤمن ، وهو أول وفد نهض من الأندلس اليه فى أواخر سنة احدى وأربعين

أما فتح إشبيلية وطاعة أهلها فكان ذلك فى الثانى عشر من شعبان من هذه السنة . وكان وصول هذا الوفد بالبيعة إلى عبد المؤمن ودخولهم مراكش فى شهر ذى الحجة من العام المؤرخ . فأولهم القاضى أبو بكر بن العربى والخطيب أبو عمرو بن حجاج ، وأبو بكر بن الجد ، وأبو الحسن الزهري ، وأبو الحسن بن صاحب الصلاة ، وأبو بكر بن شجرة ، وولد الباجى ، والهوزنى ، ومحمد بن الزاهد ، ومحمد بن القاضى شريح ، وعبد العزيز الصدفى ، وعلي بن طالب ، وعلي بن السيد ، وغير هؤلاء . فلما كان عيد الأضحى أذن لهم فى السلام ، وجاوبهم بالتأمين والتسكين ، والوعد الجميل المؤذن بالفتح المبين ، ثم بعد ذلك أذن لهم بالدخول عليه فى مجلسه العام بقصر الحجر ، فتقدم القاضى أبو بكر بن العربى بالكلام ، وخطب خطبة بليغة استحسنها الخليفة ، ثم تلاه أبو بكر بن الجد بخطبة ثانية فأحسنها وأجاد ، ودفعوا له بيعة أهـل إشبيلية بخطوط أيديهم فيها ، فأمر بقبولها منهم . ثم إن الخليفة سأل ابن العربى عن المهدي هل رآه ولقيه فى مجلس أبى حامد الغزالى أم لا ؟ فقال له : لم ألقه ، وإنما سمعت به ، وأنه كان يقول لابد من ظهوره ثم انفصلوا من عنده بخير كثير وانعام كبير . قال أبو العباس بن مقدام : لما وصل هذا الوفد مراكش وارتدت القبائل بسبب قيام الماسى ، وَشَى واشٍ إلى الخليفة أن إشبيلية ارتدت بمن فيها ، وشاع الخبر بذلك ولا علم عند الوفد بهم ، فلم يشعروا إلاّ والموحدون قد أحاطوا بالدار التى كانوا بها على الأسقاف بالرماح والسيوف ، فمنهم من غشى عليه ، ومنهم من بهت ، وظهر الموت لديه ، ورقب عليهم الرقباء ليلا ونهاراً ، ورأوا الموت عيانا وجهاراً ، ودام ذلك ثلاثة أيام إلى أن وصل الحق

ببراءة أهل إشبيلية بكتاب الشيخ أبي يعقوب بن سليمان من إشبيلية ، فاستدرك الأمير أرواحهم ، وعجل بسراحهم ، فوجه إليهم أبا إسحاق بن جامع وعبد الله ابن سليمان معتذرين لهم ، فقالا لهم إنما وجه لكم الرجال اشفاقاً عليكم ونظراً حسناً إليكم لأن الأمير رضى الله عنه قال إن وصلهم خبر ارتدادهم يفرون على وجوههم فتأكلهم الطرق بمن فيها من الثائرين ، فتابت إليهم نفوسهم ، وكان لهم بعد ذلك السراح والإنعام ، وأمر لهم بالزاد الوافر على أوفى الكمال والتمام ، فأمر للقاضى ابن العربى بمائة مثقال ذهبية حشمية ، ولابن حجاج الخطيب بمثل ذلك ، ولسائر الوفود على قدر منازلهم وانصرفوا بظهائرهم من كتب ابن عطية بالانعام عليهم بصرف أموالهم وضياعهم إليهم . وكان انصرافهم من مراكش فى جمادي الآخرة من سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة . وتوفى القاضى ابن العربى وهو على دابته فى الشهر المذكور عند وصوله إلى مدينة فاس ، ودفنوه فى روضة الجيانى وعمره خمسة وسبعون سنة . وسبب وصولهم إلى فاس أنهم أخذوا على طريق الجبل بسبب فتنة القبائل .

تلخيص بدخول الموحدين للأندلس أولا

لما اتصل بالأندلس موت علي بن يوسف ومقتل تاشفين بن على ولى عهده ودخول الموحدين مدينة فاس ، طاع على بن عيسى بن ميمون قائد البحر المنتزي على الملثمين بقادس ، وقصد عبد المؤمن ، فوصل إليه وهو بجبل العرض . فأمر عبد المؤمن القائد المذكور أن يتوجه إلى الجزيرة المذكورة وأن يهدم الصنم الذى فيها . فانصرف وشاع خبره بجزيرة الأندلس ، وخطب له عليّ المذكور بجامع قادس ، وهى أول خطبة خطبت له بجزيرة الأندلس وذلك فى أول عام أربعين وخمسمائة . ثم طاع أحمد بن قسى من موضع قيامه من حصن مرتلة عند غلبة سِدْرَاي بن وزير عليه . وكانت طاعته على يد على بن عيسى

المذكور أجازه فى غراب هو وأصحابه المختصون به من مرتلة إلى سبتة ، وكانت سبتة إذ ذاك فى طاعة الموحدين تحت نظر الشيخ أبى يعقوب يوسف بن مخلوف ، فأعان ابن مخلوف ابن قسى فى المشى لعبد المؤمن حتى وصله بجبل العرض فى شعبان من العام المذكور ، ثم بعثه صحبة الشيخ أبى اسحاق براز بن محمد المسوفى إلى الأندلس لحرب من بها من الثوار الملثمين بعسكر من الموحدين تنويهاً به ، وبعث معه أبا عمران موسى بن سعيد من جبل العرض أيضاً وعمر بن صالح بعسكر آخر .

وقد ذكر ابن صاحب الصلاة إجازة أبى إسحاق براز بن محمد المسوفى ، وعمر ابن صالح الصنهاجى ، وأحمد بن قسى مع البعوث معهم إلى الأندلس فى تاريخ المريدين الثوار بها فقال من جملة كلامه :

لما جاز العسكران إلى الأندلس قصدا مدينة شريش أولا وكانت تحت الطاعة . ثم جازوا وادي اشبيلية وساروا إلى لبلة ، ثم تحركوا منها إلى مرتلة وهى تحت الطاعة ، ثم تحركوا منها إلى شلب ونزلوا على أنظارها ثم فتحوها ، ونهضوا منها إلى باجة . فأطاع سدراي بن وزير وخرج إلى الموحدين فأدخلهم باجة على أيمن حال ، وطاع جميع أهل الغرب والجوف من الأندلس . ثم رحل أبو إسحاق براز من باجة إلى مرتلة ، وأقام بها زمن الشتاء ، ثم أمر سدراي بن وزير أن يصل إليه إلى مرتلة بجميع العسكر الذى إلى نظره فوصله بجميع ذلك من الفرسان والرجال وتحركوا منها إلى لبلة فتلقاهم يوسف بن محمد البطروجى صاحبها ، ومشى الجميع بعد ما طاع أهل طلياطة وحصن القصر ، ووصل الجميع إلى إشبيلية فحصروها براً وبحراً ففتحها الله تعالى :

ذكر ما حدث على أهل اشبيلية من الحوادث عند فتح الموحدين لها على جهة الايجاز والاختصار

كان فتحها يوم الأربعاء الثانى عشر من شعبان المكرم من سنة إحدى وأربعين ، ذكر ذلك ابن صاحب الصلاة فى كتابه فقال : فتحت عند أوان

العصر وفر لمتونة منها إلى قرمونة ، وقتل من أدرك منهم ومن أتباعهم ، وقتل أبو عمر النياقى الفقيه ، وعبد الله بن القاضى أبى بكر بن العربى عن غير قصد فى باب المسجد ، وملك الموحدون المدينة وقصبتها التى كانت قصر ابن عباد .

وكان شيخ الموحدين الذين يرجعون إليـه أبا اسحاق بن محمد المسوفى . وحضر هذا الفتح من رؤساء الأندلس وثوارها أبو محمد سدراى بن وزير شيخ أهل الغرب بالأندلس، ويوسف بن محمد البطروجى القائد بلبلة، وابيد بن عبد الله قائد شنترين ، وجميع أهل الغرب بعسكرهم ورجالهم ، ودخل . . . . . المسوفى ، ووحّد أهل طلياطة وحصن القصر وأهل الشرف ، وحين . . . . إشبيلية أعلم بذلك عبد المؤمن فسر به ، وأمر بوصول الشيخ أبى يحيى بن الجبر إليها معيناً لمن فيها من الموحدين ، فوصلها ، وسد خلالها ، وثقف أعمالها ، واجتمع مع أبى اسحاق برأى وعن رأي واحد، وسعد مساعد، ناظراً فى الجبابى، شريكا فى التدبير والنظر للموحدين، ناصحاً لهم، ثم وفد عليه وفد أهل الغرب طائعين منيبين ، ثم ترادفت الفتوح من قبل الخليفة بمراكش ، فتوجه وفد اشبيلية إليه كما تقدم ، فأمر لهم بصرف أموالهم وضياعهم ، وبعد ذلك اعترضهم أبو إسحاق فى رجوعهم، فرجعوا إلى عبد المؤمن شاكين به وبفعله ، فأمر باطلاق أيديهم ، وأمر أن يشتغل يوسف بن أحمد بالاحتساب بها ، ودامت الحـال شهوراً على خيرات وبركات إلى أن وصل عبد العزيز وعيسى أخوا المهدى ومعهما يصلاتن ابن عمهما .

قال أبو عبد الله محمد بن عبد الملك : لما وصل عبد العزيز وعيسى إلى اشبيلية مع عسكر من الموحدين الغازين نظر النـاس حيث ينزلونهم للسكنى ، فاتفق الرأي على حومة الجبانة من داخل إشبيلية ليكونوا قريباً من قصر ابن عباد حيث سكن أشياخ الموحدين أبو يحيى بن الجبر وأبو اسحاق براز الناظر فى المخزن بالأمر العالى ليتصل الموحدون بعضهم ببعض . فنزلوا فيها ، فلم يحفظوا سكناها، وابتدأوا بحرق سقفها، وعمل أصاطب من بيوتها لدوابهم، وكانوا قوم

سوء ، ففسدت الديار فى أقرب مدة ، واستطالت أيدي أتباعهم على الأندلسيين المجاورين لهم ، ففروا أمامهم ، وساءت حال أهل إشبيلية بهم ، وعبد المؤمن لا يعلم ذلك حتى رفع له به ، فأمر بالكتب لبلاد الأندلس كلها التى كانت تحت طاعة الموحدين بتمشية العدل ورفع المظالم والجور .

وفى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة خرج أمير المؤمنين أبو محمد عبد المؤمن ابن علي لغزو القبـائل الثائرة وذلك لما تفاقم نفاق برغواطة ودكالة ويحيى الصحراوى عندهم ، فدوّخ عبد المؤمن أرضهم وبلادهم ، واستأصل طغاتهم ، وهزمهم فى كل موقف ، وسباهم وفرقهم أيادى سبأ ، وصيرهم أحاديث وأنباء ، حتى أذعنوا بالطاعة ودخلوا فى حزب الجماعة ، وفر يحيى الصحراوى عنهم ، وتبرأ من الشيطان ومنهم ، واختفى بحيث لا يعلم ، وجعـل يتضرع إلى الأمر فى أن يعفو عنه ويسلم . فرجع أمير المؤمنين إلى حضرة مراكش منصورا ظافرا بعد ستة أشهر من خروجه منها . وبعد انصرافه توسط الأشياخ إليه فى يحيى الصحراوى فعفـا عنه . وبعد هذه الحركة المبـاركة كان الخير إليه من كل جهة يصل ، والود بطاعته يتصل .

وأتته المخاطبـات فى السنة بعدها من الأندلس بالرغبـة فى الدخول إلى الطاعة ، وطاعت سبتة ، ووصل وفدها ، وكذلك وصل إليه أهل سلا ، فأمرهم بهدم سورها ، فهدم ، وصفح عن دمائهم .

وفى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة أمر أبو محمد عبد المؤمن بالكتب للبلدان لما استقر بمراكش مُريحاً للنظر فى مصالح المسلمين وقوام أمر الموحدين . وكان رفع له أن المظالم قد ظهرت ، والقبالات فى الأسواق اشتهرت ، فكتب أبو جعفر بخطه عنه كتابا إلى الطلبة والأشياخ والحفاظ يأمرهم فيه بالمعروف وينهى عن المنكر وعن سفك الدماء ، فأجاد فيه ، وكانت الجودة فى معانيه ، وذلك بتاريخ الخامس عشر من ربيع الأول من هذه السنة المذكورة ووجه منه نسخا

كثيرة لبلاد الأندلس والعدوة ، فجمعت هذه الرسالة قوانين العدل والفضل ، والسياسة والرياسة ، فكانت حجة بأيدى الناس ، ومؤمنة لهم من الباس . ولما وصلت هذه الرسالة إلى اشبيلية بحثوا على أهل الأشغال ، المتصرفين فى الأعمال ، وأخذوهم بالإقرار والاعتراف ، وبالغوا فى البحث عليهم والانصاف ، فقتلوا منهم رجلين ظهر عليهما الفسوق والظلم ، والفساد والإثم والجرم ، فوجد أحدهما غير مختون ، والآخر استرابت عليه الظنون ، وكانا يشتغلان بقبض الفطرة ، فظهر منهما الغش للخلافة والإمارة . . .

ذكر سبب كتب هذه الرسالة الى البلدان وبقية ما جرى باشبيلية وغيرها من الحوادث والأكوان

وذلك أنه لما رفع إلى عبد المؤمن ما فعل عبد العزيز وعيسى أخوا المهدى بإشبيلية من استطالة أيديهما على أهلها ، وعلى الأندلسيين المجاورين لها ، وظهر من أخوى المهدى باشبيلية مذهب فى قتل الناس وإباحة الدماء ، وأخذ الأموال واتصال الاعتداء ، ثم تغيرا على البطروجي صاحب لبلة وعزما على الإيقاع به ، فعلم ذلك منهما ، ففر بنفسه عنهما ، فخرج من إشبيلية عند مغيب الشمس من اليوم الذى عزم على الفرار فيه ، فسرى ليلته وحصل فى لبلة مع جماعة من أصحابه ، فثار بها وأمّن من كان بها من الموحدين وأخرجهم منها ، ووجه فى الحين إلى طلياطة وحصن القصر من ثقفهما وملكهما ، وأعلن بنفاقه ، وأعاد بين لبلة وإشبيلية قبيح فتنته . واتصلت الفتنة منه ومن لمتونة أهل قرطبة على اشبيلية أعظم اتصال ، على تكرير الأيام بالغدو والآصال ، مدة سنة اثنتين وثلاث وأربعين إلى سنة أربع ، واتصلت الفتن بالعدوة والأندلس . ثم خالف ابن قسى فى مدينة شلب ، ونشأت الفتنة بين محمد بن على بن الحجام وبين أمير الغرب بمدينة بطليوس ، بسبب تغلب ابن الحجام على ابن وزير وإخراجه من مدينة بطليوس ، ثم تغلب ابن غانية على الجزيرة الخضراء ، وقام أهل سبتة على

الموحدين فقتلوا واليهم وأخرجوهم وثبت أبو الغمر بن عزون بشريش ورندة على طاعة الموحدين، وارتفع السعر بها وعظمت المجاعة بها، باتصال الفتن والتحامها. وامتنع على بن عيسى بن ميمون القائد من توصيل الأطعمة والأقوات إلى إشبيلية فى البحر، إذ كان قائد البحر مالكا له، لا تجرى جارية فيه خوفا منه، لاستباحته أموال التجار ودمائهم الذين يسوقون الأقوات ويتصرفون فى مصالح المسلمين، يقتلهم بسيفه، ويسقيهم الموت من خوفه. وبقيت إشبيلية محصورة براً وبحراً والنـاس بها فى شدة عظيمة من عدم القوت حتى بيعت خبزة بدرهم ونصف، وبيع قدح القمح بستة وثلاثين درهما، وباع الناس أموالهم بإشبيلية بالأيسر اليسير، واستوى الغنى بها والفقير، وبيع أصل زيتون بالشرف بنصف درهم، ودار تساوى مائة دينار بعشرة دراهم.

ولما اتصلت هذه الأحوال القبيحات، واشتدت الكربات . . . . . المجرمون عيسى وعبد العزيز ويصلاتن ابن عمهما بمن كان معهما من إشبيلية . . . . . . وجميع بلاده بما عنده من الفرسان والرجال، معيناً لهم . . . . على جهة مالقة . . . . جرير ضرا ولازموها شهوراً، ووصلهم فى البحر بالقطائع أبو محمد عبد الله بن سليمان معينا لهم حتى فتح الله الجزيرة على يد أبى الغمر بن عزون المذكور، وأخرج لمتونة عنها، وقتل أتباعهم، واستأصل اشياعهم، واتصل حال أهل إشبيلية على ما ذكرته من الشدة. ثم رجع أخوا المهدى ويصلاتن إلى مراكش، فبعث عبد المؤمن واليا على إشبيلية أبا يعقوب يوسف بن عثمان بعسكر من الموحدين، وبقى أبو إسحاق براز على شغل المخزن، وألفاها فى غاية من الشدة فى كل نوع، وقد اجتمعت عليها الفتن بكل جمع. فسكن روعة أهلها بعدله وساس أعاديه بدهائه وعقله، واجتمع ببراز الناظر فى المخزن، ففتح عليه أبواب السياسة، وأعانه الله على نصح الخليفة فى الرياسة، واتفق رأيهم على بناء قصبة بإشبيلية وعلى ترحيل الموحدين الساكنين بالجبانة إلى القصبة بسبب تشكى الناس من ضررهم، فأرغموا

على ذلك ، وحازوا موضعها الذى هى الآن فيه ، وأخرجوا أهلها عن ديارهم ، وعوضوهم فى المدينة أعواضاً من ديار المخزن مما لا يرضيهم ، وكان هذا على الناس أشد من قتـل نفوسهم ، وزيادة فى كثرة همومهم وبؤسهم ، وهدموا سور ابن عباد وبنوا بأحجاره هذه القصبة ، ولم يزل الناس يتشكون من هذا العوض من الخليفة الأول والثانى والثـالث وهم ينظرون لهم ، إلى أن طال الزمان ، وأرضاهم الاحسان .

وخرج أبو يعقوب بن سليمان المذكور إلى لبلة ، ففر البطروجى من الغرب وجهة شلب ، مقر ابن قسى ، فعسكر الموحدون ومن تبعهم من الرؤساء الأندلسيين فى فصل الشتاء والبرد ، فدوّخ نظر يوسف البطروجى باغلياطة ونظرها ، ثم انتقل إلى لبلة وأقطارها ، ثم انتقل إلى جهة الغرب وأغار على طبيرة ونظرها ، وتلقاه أهل مدينة العلياء بالتوحيد . . . . بمدينة شنتمرية القائد عيسى بن ميمون والد القائد علي المذكور قبـل هذا وال عليها ، فاتصل بعسكر الموحدين وغزا معهم جهة شلب ، فتعرضت لهم جماعة من أصحاب يوسف البطروجى ليدافعوهم عن جهة شلب ، فهزموهم واستأصلوهم ، وتمادى غزو الموحدين تلك الجهة حتى انكروا بلاد العدو غرب الأندلس ، وألزموهم عظيم الحرب والكرب ، وألح المطر عليهم فلم يمكنهم الرجوع إلى الطريق الأول لامتلاء الأودية وحملها ، وثقل الأرض ووحلها . فلما انصرف الموحدون على جهة بطليوس ، وعلم بهم محمد بن على بن الحجام صاحب بطليوس فى تلك الأيام ، أوصلهم بالقوارب وأجازهم على الوادي وحَفِلَ بهم بالتضييف الحافل من كل جانب ، فرعى له ذلك ، وعد له أنه عهد ، وسالموه فى طريقهم ، ولم يروعوا له سربا لأجل توفية حقوقهم ، ووصلوا إشبيلية موفورين منصورين . . . . .

كتاب من الخليفة عبد المؤمن لأبى يعقوب ، شكره على غزوته هذه جواباً على خطابه ، يذكر له فيه : وصل كتابكم الأثيل مضمنا من الإعلان ما سنّى

الله للموحدين من الفتح الجليل ، والصنع الجميل ، فى الجملة والتفصيل . . . . . قرطبة فتغلب على يحيى بن على بن غانية بقوته وشوكته حتى أعطاه بياسة وأبدة ، وبعث الروم على مدينة أشبونة وطرطوشة ولاردة وافراغة وشنترية ، واستولوا على جملة من بلاد الأندلس ، فداخل ابن غانية صاحب قرطبة براز ابن محمد صاحب إشبيلية أعادها الله للاسلام .

ذكر دخول الموحدين قرطبة وقرمونة وخروج ابن غانية عنهما ووفاته فى هذه السنة

لما وقعت المداخلة والمواصلة بين الموحدين وبين يحيى بن غانية برأي أبى اسحاق براز بن محمد ونهجه واجتماعه معه باستجة ، وذلك أنه لما تسلط أذفونش على ابن غانية ولم يرض منه بما اتفق معه من الإتاوة التى كان يعطيه كل عام ، طلب منه قرطبة أن يعطيها له ، وقال له ، إنما أنت عاملى عليها وأنا ملكتك إياها يوم إخراجى ابن حمدين عنها ، فأنف من ذلك ابن غانية أنفة المؤمن وراجع نفسه إلى حماية الموحدين ، فوجه إلى أبى إسحاق براز بن محمد أن يجتمع معه ، فحين وصل الخبر إلى براز المذكور ، سار إليه واجتمع معه باستجة ، وانفردا فى المناجاة بينهما ، مدة يومهما فبين عليه أبو إسحاق فضل الخليفة عبد المؤمن ومذهبه فى نصر الدين بهذه الجزيرة المنقطعة وقمع الكفار عنها ، واتفق الصلح بينهما ، وضمن له أبو إسحاق براز أنه يوجه له عساكر تحمى بلاده ويكونون أعوانه وأجناده على أن يمكن أبو زكرياء المذكور الموحدين من قرطبة وقرمونة ويسكن ابن غانية مدينة جيان عوضا عن قرطبة وقرمونة . فاتفقا على ذلك وانفصلا على هذا الصلح والعهد ، والربط على الوفاء والعقد . وعند انفصالهما خاطب أبو اسحاق براز عبد المؤمن بوصف الحال ، وبتأدي أبى زكرياء ابن غانية إلى الطاعة ، وصفاء مذهبه فى الدخول فى هذا الأمر السعيد ، واستأذن أبو اسحاق فى المشى إلى الحضرة يشرح الحال مشافهة فأذن له فى الوصول ، فوصل مستعجلا .

ثم صرفه عبد المؤمن معجلا ، وخاطب معه أبا زكرياء المذكور مستدنيا ومواصلا ، ومنجزاً له من العدات والخيرات فوق ما كان آملا .

ولما وصـــل كتاب أبى محمد عبد المؤمن إلى ابن غانية المسوفى صاحب قرطبة وما يليها من البلدان ابتهج وزاد سروره ، وقوي فى ذات الله عزمه وظهوره ، فتخلى له الموحدون عن مدينة جيان ، وشاع الخبر عند أذفونش والنصارى بذلك ، فجمع عسكره الذميم وخرج به محارباً لأبى زكرياء المذكور ، وطلب منه أن يعطيه جيان ، وإلا أغار عليه فيها ونازلها بأعداده ، فلم يمكن ابن غانية إلا أن ينعم له بها وهو يظهر خلاف ما يبطن ، ولم يطلع أحد على سر الله عز وجل . فاستعجل اذفونش بجمعه الذميم ونزل على ستة أميال من جيان ، وطلبه بانجاز وعده ، فعزم يحيى رحمة الله عليه على الوفاء لله تعالى فى الذب عن حريمه وحرمه ، فوثب الفرسان والرجال والمشاة الأبطال على أبواب المدينة وحصن القصبة بالثقاب وأكمل عزمه . . . . اذفونش أن يوجه . . . . وبعد ذلك يصل هو . . . . بأندلس . . . . . وقصدوا الموضع الذى كان فيه ابن غانية واقفاً بباب القصبة فقبض على جميعهم تقبض ملك مقدام ، فارس شهم همام ، وقيد جميعهم فى الحديد والكبول ، واحتملوا إلى سجن القصبة المانعة على أسوأ محمول ، وجاهد فى الله جهاداً مبروراً ، ولقى بذلك من ربه نضرة وسروراً .

واتصل خبر هذه البطشة فى الحين ، باذفونش اللعين ، فأقلع مرتاعا فزعا وانصرف على طريق بياسة ومنها إلى بلاده قشتالة ، وانتقض ما بينه وبين ابن غانية من عهد ، ولم يكن بينهما اجتماع أبداً بعد . ولما كمل له بعون الله مراده ، ورجع له عند الله جهاده ، احتملهم مكبولين إلى قلعة بنى سعيد وفى نيته ما ارتبط عليه من الوفاء للموحدين ، وطاعة أمير المؤمنين ، وسار منها إلى غرناطة ليجتمع مع من بها من اللمتونيين ، ويربطهم بما ارتبط ، ويشترط عليهم ما اشترط ، فأقام بغرناطة نحو شهرين ، وتوفى بها عصر يوم الجمعة الرابع عشر من شعبان

المكرم من سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ودفن بالمسجد الصغير المتصل بقصر باديس وأُلْصِقَ قبره بقبر باديس بن حبوس .

ولما وصل خبر موته إلى صاحب القلعة أبي مروان بن سعيد قائد ابن غانية وأمينه دخل إلى الأقماط المسجونين عنده ، وأعلمهم بموت ابن غانية وارتبط معهم على أنه إن حلهم تكون القلعة بيده كإحدى بلاد النصارى ، فضمنوا له ذلك .

وخاطب أبو إسحاق براز بن محمد الأمير عبد المؤمن بما كان من هذه الحوادث ، فجاوبه على ذلك . ولما علم أذفونش بموت ابن غانية زاد طمعه فى قرطبة وانظارها ، فحشد جميع الكفار ببلاده لمنازلتها ، وأعلم الموحدون حضرة أميرهم بذلك واستغاثوا بالله تعالى وبه ، فوجه لهم عسكرا مع أبى محمد عبد الله بن أبي بكر رحمه تعالى ، ثم والى نظره بعد هذا بتوجيه عسكر إثر عسكر واجتمع رأى الموحدين بإشبيلية لما تحققوا احتشاد الطاغية أذفونش لمنازلة قرطبة أن يوجهوا إليها أبا الغمر بن عزون لعلمهم بنجدته وشجاعته ، فتوجه إليها .

ولما علم بهذه الشدة يوسف بن أحمد البطروجى بلبلة رغب إلى الموحدين أن يعينهم بجملة من فرسانه يمشون مع ابن عزون إلى قرطبة لحرب الروم ومدافعتهم ، فقبل ذلك منه فوجه أربعمائة فارس من أنجاد أصحابه ، فكان له ذلك عنوان قبول ، فى رجعته إلى الطاعة ومأمول ، وأعلم الموحدون الذين باشبيلية أميرهم بمنازلة اذفونش قرطبة ، فأزعج عسكرا صحبة أبى زكرياء بن يومور . ولما وصل أبو زكرياء بن يومور بعسكر الموحدين إلى اشبيلية اجتمع مع إخوانه الذين كانوا بها ، وتشاوروا كيف يكون السلوك إلى قرطبة ، إذ العدو منازل جوانبها ، فرأوا أن يكون السلوك إليها على الجبل لكيلا يكون عند الطاغية خبر منهم حتى يدخلوها ، فاستجازوا على ذلك وسلكوا الطريق الكبير . فلم يعلم

العدو بخبرهم حتى دخلوها ليلا ثم برزوا من الغد عليه تبريزاً اذهله ، واذهب طمعه فيها وهاله وأقام قليلا من الأيام وأقلع خائباً لم يحظ بنيـل مرام وكان بقرطبة مدة حصارها مجاعة عظيمة أكلوا . . . . بعد اقلاع العدو عنها واقفرت ثم . . . . . ولما فرغ أبو زكرياء ابن يومور من محاربة العدو المذكور وصله خطاب يوسف بن أحمد البطروجى راغبـاً ثم وصل بنفسه إلى إشبيلية متطارحاً طالباً أن يشفع له عند الخليفة وأن يرجع تحت طاعته وأن يعفو عنه فيما جنـاه من الفتنة وكذلك رغب فى أحمد بن قسى خليله وفى محمد بن عبد العزيز خدينه فخاطب فيه أبو زكرياء المذكور بما رغب فيه وأوصل الأمانة عنه بما طلب فوصـل الأمر بالعفو عنه وعن صاحبه وكان سدراي بن وزير قد قبض يده مدة ارتداد الثوار عن فتنة الموحدين وأمسك نفسه عن مقابحتهم واشتغل بمحاربة ابن قسى ودفاع البطروجى ومغالبة محمد بن الحجام فلم يكن للموحدين قبله حقد ولا ثبت منهم عليه نقد فلما وصل أبو زكرياء بن يومور بالعساكر بادر بالخطاب إليه والى أبى اسحاق براز بن محمد بالاعتذار عن توقفه والاستغفار عن تخلفه فسعيا له أحسن السعى فى ذلك كله .

وفى سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، فى آخرها ، قام سدراى بن وزير إلى إشبيلية ، فبادر إليها بنفسه ، فاجتمع بهما فيها . ثم توجه منها بنفسه وأهله وماله إلى حضرة مراكش ، ولما وصل إليها قبله أمير المؤمنين أبو محمد عبد المؤمن ، وتخدم له الوزير ابن عطيـة حتى خف جانبه وشكر له بداره ، ثم تلاه أبو الغمر بن عزون ، ثم تابعهما يوسف البطروجى ملقيا بنفسه ، تائبـاً عما جنـاه من قبيح الفتنة فى أمسه ، واجتمـع الكل بحضرة مراكش . ثم نظر الأمير أبو محمد عبد المؤمن فى الحركة إلى مدينة سلا . . . . . وفى سنة خمس وأربعين وخمسمائة تحرك أبو محمد عبد المؤمن من مراكش إلى مدينة سلا ليتطلع منها على أخبار الأندلس ، فلما وصل إليها رأى أن يجرى ماء عين غبولة إلى مدينة المهدية وهى رباط الفتح من سلا ، فأمر باحضار الفعلة ،

وأجرى الماء حتى أوصله إليها فى شهرين اثنين ، وأمر باستدعاء شيوخ جميع الأندلس الذين تحت طاعته ، فوصل كتابه إلى أهل إشبيلية . فخاطبوا أهل قرطبة وأهل بلاد ابن وزير والغرب وبلاد الجوف وبلاد ابن قسى والبطروجى ، فوصلو إلى إشبيلية مسرعين مبادرين ، واجتمع الجميع بإشبيلية ، وتحركوا منها فى الخامس عشر من ذى الحجة ، وسلكوا طريقاً إلى شريش ومنها إلى طريف ، وتلك النواحى كلها مقفرة لا سكنى بها ولا عمارة لقرب الفتنة المهلكة لأهل الأندلس ، فأجازوا البحر وأخذوا الطريق إلى سلا .

قال ابن صاحب الصلاة : فمررنا فى طريقنا على قصر عبد الكريم وليس فيه إلاّ القليل من الناس فى خيام وحانوت واحد كان سوقهم به ، والأسود تزأر حواليه والأرض موحشة قفرة ، أخلاها تهارج الفتن . فوصلوا إليها فى السابع والعشرين من ذى الحجة وهم فى نحو خمسمائة فارس من الشيوخ والأجناد والقواد ومن تبعهم من رجالهم . فأمر الأمير عبد المؤمن . . .

على ميلين من سلا فنزلوا إليهم وسلموا . . . .

والدعاء لهم ولخليفتهم بما حضر من الكلام . وبعد هذا نزل جميع الوفد فى الديار وأدرت عليهم الضيافات أتم إدرار . . . .

وفى سنة ست وأربعين وخمسمائة فى أول يوم من هذا العام المؤرخ أمر أمير المؤمنين الوافدين بدخولهم إليه وسلامهم عليه ، فى رحبة دار ابن عشرة وهو جالس على حصير فى الرحبة المذكورة وعليه غفارة زبيبية ، وعلى رأسه عمامة صوف ، والوزير ابن عطية يقدم إليه يسميهم . فأشار ابن عطيه بالتقدم فى الكلام ، فتقدم قاضيهم أبو القاسم بن حجام ، فقال فى أثناء كلامه : إن أذفونش لعنه الله بعد ما تنحنح وسعل ، ودبر وبهر ، فغلط فى مقاله عوضاً عن اللعنة بالتأبيد ، ثم قال إنه أضعف بلادنا وأفقرها . فعلم الخليفة أنه أخطأ ، فسكت وأعرض عنه ، وخجل جميع الوفد من مقاله ،

وبهت من حاله ، فتلافى الناس فى المجلس الفقيه أبو بكر بن الجد ، فخطب فى الحين خطبة بليغة ذكر فيها أولاد الأمر العزيز والدعاء للخليفة وما يجب من البدار إلى طاعته ، والدخول فى جماعته ، وتكلم رؤساء المجلس واحداً واحداً ، ثم انفصل المجلس فى ذلك اليوم ، ووعد الناس بالرجوع إلى المجلس والتكرار فى اليوم الثانى للمبايعة ، فحضر جميع الوفد ، ودخلوا على سبيل الدخول .

ذكر بيعة رؤساء الأندلس الوافدين على عبد المؤمن بمدينة سلا وانخلاعهم له

لما دخلوا على أبى محمد عبد المؤمن بادر أبو محمد سدراي بن وزير أولا وبايع على الإنخلاع من بلاده باجة ويابورة وأنظارها ، فشكر على فعله ذلك . وأراد البطروجى أن يتكلم فلم يقدر على النطق ، ولا شرح بيان الحق ، فنفد عليه توقفه ، وتبين تحرجه ، لكن أمير المؤمنين رفع رأسه للناس وقال مشيراً إليه : هذا أبو الحجاج صاحبنا بالشرف . فلم يشكره على ذلك ، ولا قبل يده . ثم قام ابن عزون وبايع على الإنخلاع من بلاده ، وكذلك محمد بن الحجام ، وكذلك عامر بن مهيب صاحب طبيرة ، وكذلك بايع جميع من حضر من الثوار ، وتخلف ابن قسى وأشياخ بلده شلب عن هذا الجمع ، ولم يحضر من ينوب عنه ، فظهر للخليفة فساد مذهبه وارتداده . ثم دخل سائر الناس من الوافدين واحداً بعد واحد حتى أتموا ، وكان السبق لأهل إشبيلية . وتكلم بهذا المجلس كل من أراد أن يتكلم من الأشياخ والأجناد ومن سائرهم ، ولم يعتب أحد عليهم ولو تكلم بكلام سخيف ، أو تظلم بطلب ضعيف ، وأنشد من الشعراء من أراد . وأمر جميع الوفد بالإنصراف إلى بلادهم بعد إقامتهم خمسة عشر يوما . . .

وخاطب أبو محمد عبد المؤمن الأشياخ والطلبة الذين بإشبيلية بوصف الحال ، وبما يبلغ الأمل للآمال . وبعد انصراف هذا الوفد تحرك أمير المؤمنين راحلاً إلى مراكش حضرته ، وانصرف معه ابن وزير على أملٍ وجذلٍ وعدّةٍ كريمة مبرورة ، وخاطب أخاه أن يمكّن الموحدين من بلاده ، فامتثل ذلك وفعل . وأمر البطروجي فصرف مهجوراً إلى مراكش . . . . ليلة من التمادى على الارتداد ما أوجب سجنه . . . الغلبة عليهم . . . بن عيسى . وفى هذه السنة حاصرت العرب . . . وضيّقت عليهم . وفيها أخذ مؤنس بن يحيى العربى مدينة باجة وأطاعه أهلها .

وفى سنة سبع وأربعين وخمسمائة شرع أمير المؤمنين عبد المؤمن فى الحركة إلى بجاية وأنظارها على ما أذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر حركة عبد المؤمن الى بجاية واستيلائه على مملكة بنى حماد وبلاد متيجة وتيسير ذلك

فالعجب العجيب لما أراد الخليفة عبد المؤمن غزو بنى حماد استسر ذلك مع خاصته ووزرائه ، منهم أبو ابراهيم وأبو حفص وغيرهما ، وأظهر لهم ما فى طيّ نفسه من ذلك ، فاشتغل باحتشاد قبائل الموحدين من جبالهم ، وخرج من مراكش فى أواخر سنة ست الفارطة مظهراً للناس غزو الروم بجزيرة الأندلس . فلما وصل إلى سلا ، أقام بها شهرين يردّدُ الرأى فى نفسه ، ثم توصل منها إلى سبتة مظهراً للناس الاجازة إلى الأندلس . واستدعى من له من العمال بإشبيلية وأنظارها ، فوصلوا إليه ، واستوضح مسائلهم . ثم رحل منها راجعاً مظهراً الانصراف إلى مراكش ، وأشاع الذكر بذلك للناس ، ومقصده فى نفسه ونفس خاصته بجاية وبلاد إفريقية . وكان حين حركته هذه من مراكش خاطب عامله على تلمسان وهو ابن واندين يأمره بمنع التجار المسافرين

من التصرف والتحرك إلى إفريقية براً وبحراً لأجل الإخبار ، بانتقال المسافرين والتجار . فامتثل ذلك والتزم الأمر فى فعله هنــاك . ولما فصل من طنجة أخذ على قصر عبد الكريم على طريق جعـل فيه فاساً على يمينـه ، وأخذ قاطعا إلى الشرق ، ونادى منادى المحلة عن أمره : أيها الناس — من تكلم منكم بكلمــة معـناها أين هو المشى هل إلى الشرق أو إلى الغرب أو القبـلة فجزاؤه السيف . . . ثم تحرك إلى جهة بجاية مستعجلا فى الرحيل ، على أول غرضه من التأميل ، فما شعر ابن حماد صاحب بجاية ، المعروف بالعزيز ، حتى وصل عامله بالجزائر بعد ما خرج منها ودخلها الموحدون ، فصبح بجاية فى إثر ذلك . وعلم بوصوله أبو عبد الله بن ميمون المعروف بابن حمدون . وقد كان بينه وبين أبى محمد عبد المؤمن عهد على ذلك وموافقة ، ففتح له باب مدينة بجاية ، وقد كان ابن حماد حين وصله مستنا به من الجزائر نظر فى قطعة من قطع البحر وركبها لعبوره ، ورآها مفزعة لذعره ، وأضاف إلى القطعة المذكورة قطعتين اثنتين ملأهما بجميع ذخائره من الجوهر والياقوت والذهب الصامت والآنية والثياب وغير ذلك ، وأدخل فيها عياله وقذفت فى حينه بذلك إلى . . . وكان فيها أخوه شقيقه ، فأحس منه غدره ، فرحل عنه فى البحر ، ووصل إلى مقربة من قسنطينة ، وأقام بها حتى نازله الموحدون وحاصروه بها مدة ، فرغب فى الأمان . . . .

لعدله ، واثقاً بفضله ، فلقى من . . . . ما أنساه . . . وانتقل بأثقاله ، وأحمال ماله ، وجميع أهله وعياله ، مع المحلة إلى مراكش ، فأعطاه الديار والأموال ، وتم له الآمال ، ودام هو وبنوه تحت أنعام واكرام ، حتى انقرضوا بعد هذا بسنين . وبعد استقراره بمراكش ، وتوالى سيل النعم عليه من الخليفة بآلاف الدنانير والهبات الجزلة ، وإحضاره للمذاكرة فى مجلسه العالى ، اشتغل بالطراد والصيد ، وتخامل وتجاهل ، واستعمل شباك الحديد لصيد الأسود الضوارى ، فكان يتحيل عليها فيصيدها ويدخلها فى أقفاص حديد ويسوقها إلى عبد المؤمن

ويتحفه بها ، فتعقر بحضرته على معنى الملاعبة والمطاردة بين يدى الملوك ، وكان يعطيه على كل أسد يصيده ألف مثقال . واستاق ابن حماد المذكور فى بعض الأيام شبل أسد صغير وأدخله إلى الخليفة فى مجلسه ، فأمر بحل الشبل من عقاله ، فمشى الشبل بين الناس يخترق الصفوف حتى وصل إلى الخليفة فربض بين يديه ، وسكن لا يتحرك من موضعه ، فعجب الناس من ذلك . وكان قد سبق إليه فى ذلك المجلس زرزور فتكلم بين يديه بأنواع من الكلام . فارتجل أبو على الأشيرى أبياتاً من الشعر فى صفة الحال بالمجلس المذكور وهى :

أنس الشبل ابتهاجاً بالأسد ... وأرى شبه أبيه فقصدْ
ودعا الطائر بالنصر له ... فقضى حقكم لما وردْ
أنطق الخالق مخلوقاته ... بالشهادات فكلٌّ قد شهدْ
أنك القائم بالأمر له ... بعد ما طال على الناس الأمدْ

رجع الخبر . ولما استولى أبو محمد عبد المؤمن على بجاية وأنظارها ، وجمع أقطارها ، كان ميمون وزير ابن حماد قد فر إلى قبائل العرب بنى سليم ، فكتب إليه بالأمان ، والعدل والامتنان ، فوصل من فوره ولقى ما وعد به وسعد بمذهبه .

وكتب أبو محمد عبد المؤمن رسالة فصيحة إلى أهل العدوة والأندلس ، فوصف فتح بجاية بخط أبى جعفر بن عطية أبدع فيها غاية الإبداع ، ووفى شرح هذا الفتح بما أبهج القلوب والأسماع ، وبعث بها إلى سائر الأصقاع .

ذكر سبب هجر عبد العزيز وعيسى أخوى المهدى ومقتل يصلاتن صهرهما وصلبه

وذلك أن أمير المؤمنين عبد المؤمن لم يزل من وفاة المهدى يأتلف عبد العزيز وعيسى ويحسن إليهما وإلى يصلاتن معهما بالإحسان التام ، والإنعام

العام ، وهذا يصلاتن يغريهما ، ويوقد نار الحسد فى جوانحهما ، ويجعل نقض العهد وخلع الطاعة غذاء بجوارحهما ، وإذا دخل مجلس الأمر العالى دخل قطيباً ، وإذا خرج خرج غاضبا ، فيستريح بذم الأمر بالتصريح ، وينسب إليه كل قبيح ، حتى فشا سره وسر أصحابه ، ووضح وضوح الشمس غدره وغدر أترابه ، وتبين مكره ، فطُلب وأُخذ بعد طول إذاية وسجن .... فلما كان إيابه من الغزوة المذكورة .... عليه بإمضاء حد الحسام .

... على جذع بمرأى من جميع الأنام . ولما كان ... هذا اليصلاتن أظهرت نفوسهم الخبيثة ما فى طيها من إرادة النفاق والانتكاث ، وأطمعتهم فيما لم يستحقوه أضغاث الأحلام ، فبسطت بهم بعد ذلك حوادث الأحاديث ، إنصافاً على ما كانوا طبعوا عليه من دبيب عقارب الحسد ، وكش للأمر العالى أفاعيهم بكل رصد . فاعتقلوا بعد الهجر ، ثم سرحوا ، ووصلوا إلى فاس ، وأعطوا ومنحوا فلم يقنعوا ، فكان من حديثهم ما يطول فيه البيان ، فقُتلا وصُلبا فى جذعين فى ذى القعدة عام ثمان وأربعين وخمسمائة على ما يأتى ذكره فى موضعه .

وفى سنة سبع وأربعين وخمسمائة كان وصول أبى محمد عبد المؤمن إلى مراكش حضرته من حركة بجاية ، فلما استقر بها وفد الناس إليه من جميع بلاده مهنئين له بإيابه ، وبما منحه الله من الظفر بأعدائه ، وبسر له من طلابه مستبشرين بيمن سلامته ، وعودته إلى مقر خلافته ووفد وفد إشبيلية فى جملة من وفد وورد ، وفيهم القاضى أبو موسى عيسى بن عمران رحمه الله تعالى ، فأنشد فى معنى التحريض على البيعة للسيد أبى عبد الله بن الخليفة عبد المؤمن وهى :

طال انتظار العالمين لبيعة	فقلوبهم كالنار ما لم تعتقد
فليوزينك الله بعد تمامها	عمرا يطول بنصر دين محمد

إن قيل من للأمر واحتفل الورى — لأجاب كل بالجواب الأقصد
إن الخلافة قد تبين نورها — للناظرين على جبين محمد
ذاك الذى أعطت كتيتك اسمه — ليحوز أكرم غاية للمؤدد
فرع غذاه العلم من له نشأة — حتى استوى وعاد منار المهند
ما عذر من فوق الكواكب أصله — ألا ينال العلم أخذا باليد

فاستحسنها أمير المؤمنين ، وكانت حاجة فى نفس يعقوب ، فأعربت له عن ضمائر القلوب ، وشاع قبول هذه الأبيات عند أشياخ الموحدين ، فتكلموا فى ذلك بإجماع وإصفاق ، وقالوا إن القول قولهم على أصح اتفاق ، وبادر الناس من طلبة الحضر والأشياخ بالرغبة فى . . . هذا الخبر وتوالت الرغبة يوماً بعد يوم وصرحوا أن السعد لهم فى انتظامهم الأمر العزيز بالعهد الكريم . فقبل أمير المؤمنين منهم ، واستحسن القول عنهم ، ووفدت الشعراء للتهنئة بفتح بجاية ، فنهم أبو عمر بن حزمون قال من قصيدة طويلة يمدحه ويذكر وقعته فى العرب :

إلى هذه كان انتهاء المطالب — فسقيا ورعيا بعدها للراكب
فيانعمة كانت من الله نقمة — على كل مغرور عن الحق ناكب
وصيرنا بيض الهند حمرا كأنها — سفر إلينا عن خدود الكواعب
وقائع غارت فى البلاد وأنجدت — فقد يدا للسلم كل محارب
فأيقن مرتاب وءامن كافر — وتبت إلى العاصى بسيرة تائب
فكيف يطيق الناس من شكر جنابكم — وأمرهم من بعض تلك المواهب

وفى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة تحرك أبو محمد عبد المؤمن من حضرة مراكش إلى مدينة سلا ليشيع كبراء العرب الوافدين عليه بالطاعة مع بعض أمرائهم من إفريقية ، وفى نفسه أن يربط العهد الميمون الطاهر المصون ، فلما

وصل سلا انعقدت البيعة لابنه محمد على أوفى شروطها وربوطها ، وأمر بالكتب فى وصف الحال ورغبة الموحدين فى البيعة المذكورة المؤذنة لهم ببسط الآمال ، وذلك من إنشاء ابن عطية ، فوصلت البيعات من كل الجهات ، ووفدت الشعراء من الأندلس للتهنئة على هذه البيعة السعيدة ، فمنهم أبو الوليد اسماعيل ابن محمد الشواش فقال فى قصيدة :

أجاب به داعى الحياة متوبا ... فبادره واستنجد الريح مَرْكبا
إمامُ هُدى يدعو إلى الحق معلنا ... فيا فوز من لبى ويا ويل من أبى
خليفة مهديِّ الورى وأمينه ... تولاّه المحيا ووالاه معقّبا
حواه أمين للامامة حافظ ... وأدى حقوق الله فيه وأوجبا
وأنجزه فى الفتح صادق وعده ... فمكنه فى الأرض شرقا ومغربا
لقد رَضِيَتْ فيك الخلافة مُرتضى ... لما أوجبت فيك الديانة مجتبى
وبالأمن والإيمان والفوز والرضا ... ولاية عهد تطلع السعد كوكبا
ونوجيت بالأمر الذى قررت بعمله ... فأمضيت أمراً كان أولى وأَوْجُبا
هو الملك الميمون فى مطلع الرضا ... أنار وفى حجر المعالى ترتبا

. . . . . .

ويكفيه فخرا يضمن الفضل والنهى ... بأن كان منك ابنا وكنت له أبا

ومدحه جماعة من الشعراء القصاد فهنؤوه بالبيعة المذكورة وغَلبته على بنى حماد .

ولما كملت رغبة الموحدين بالبيعة للابن أبى عبد الله محمد ، وأخذوا بيده . وارتبطوا بالمعاهدة ، رأوا أن العزة تابعة لهم فى تولية السادات البنين ، وأن الخير لهم فى ذلك وللمؤمنين ، يوالون الرغبات فى تولية هاته الولايات ، فقبل منهم ما باشروا به من رغباتهم ، وأسعفهم فى طلباتهم .

ذكرى ولاية السادات الأكرمين أولاد الخليفة
أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي

ولى السيد الأعلى أبو حفص مدينة تلمسان ، وتوجه معه أبو محمد بدو عليها ، وصهر الخليفة ، وعبد العزيز من عباس . . . . باله ، وولى السيد أبو سعيد غرناطة ، فمشى معه الشيخ أبو عبد الله بن سليمان وأبو سعيد عثمان بن ميمون الصنهاجى ، ثم انضاف بغرناطة عند مشى السيد إليها أبو يحي بن يجيت ، ومن الكتاب أبو الحسن بن العودوس ثم ابن طفيل ، ثم أبو بكر بن حبيش الباجى ، وتوجه السيد الأسنى أبو محمد عبد الله إلى بجاية ، وسار معه على معنى التدريب الشيخ أبو سعيد يخلف بن الحسين . وولّى السيد أبو الحسن على مدينة فاس ، فسار معه وزيراً يدربه أبو يعقوب يوسف بن سليان ، ومن الكتاب أبو العباس بن مضاء يعلمه ويقرأ عليه .

رجع الخبر لسبب مقتل أخوى المهدى رحمه الله تعالى

لما كملت البيعة لولى العهد أبى عبد الله واتصلت بها الولايات للسادات دبت عقارب الحسد فى قلوب عبد العزيز وعيسى . . . .

فاس — عبد القادر زمامه